ترجمات | قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية | 02 ماي 2018

العقل بوصفه مشروعاً ومغامرة

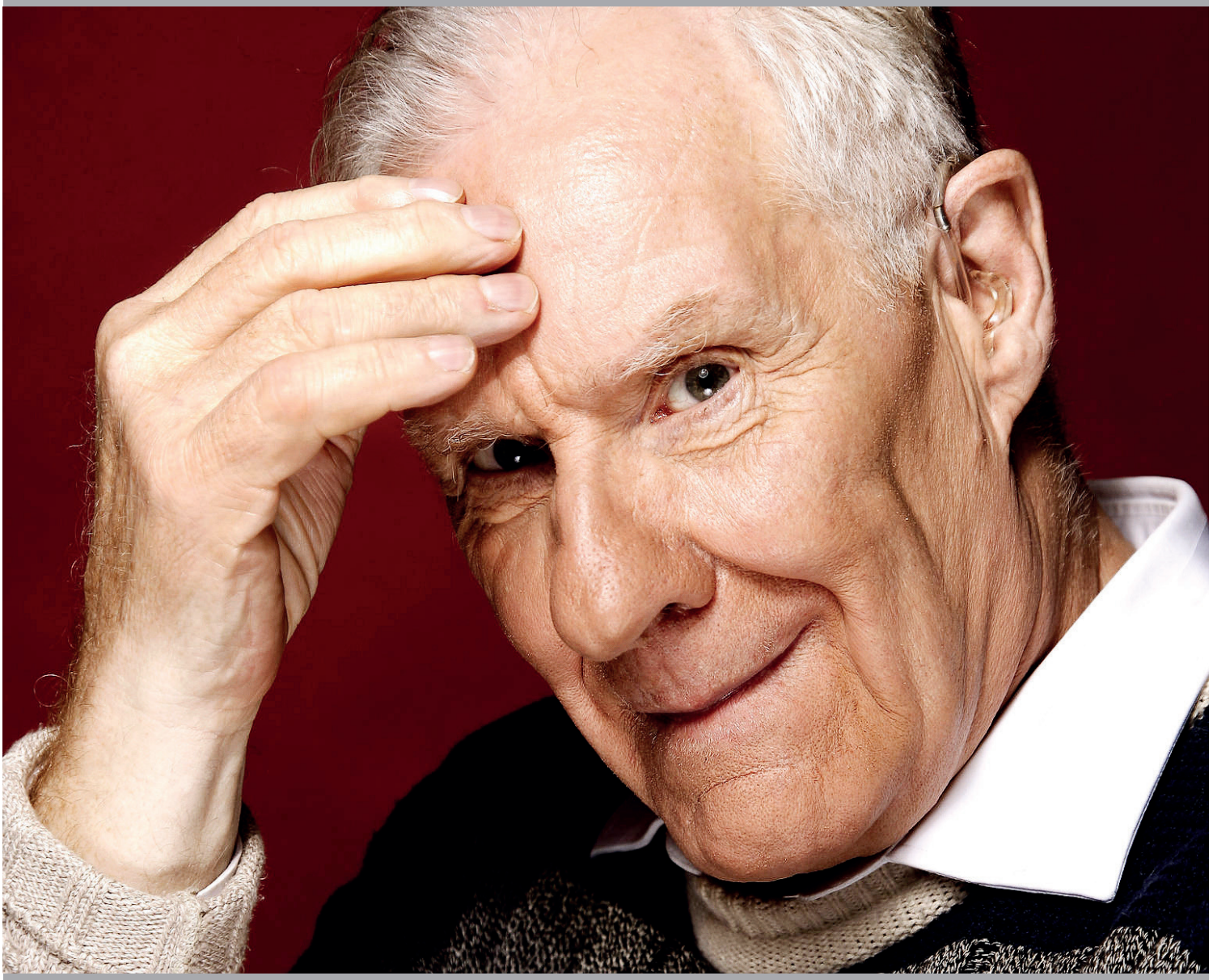

مجلة لوبوان
ترجمة: حمادي أنوار

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2018
All rights reserved © 2018

العقل بوصفه مشروعاً ومغامرة[1]

مجلة لوبوان

ترجمة وتقديم: **حمادي أنوار**

[1]- Le point : «La raison, c'est aussi un projet, un risque, Entretien avec Alain Badiou», Le point-Références , N° 41, Septembre-Octobre, 2012. p-p : 88-89

تقديم:

تضمن العدد 41 شتنبر-أكتوبر 2012 من المجلة الفرنسية لوبوان Le Point Références، ص-ص: 88-89 حواراً مع الفيلسوف والروائي الفرنسي المعاصر ''ألان باديو'' حول مشكلة العقل والعقلانية في العالم المعاصر، وبالضبط في علاقتهما بالنزعات المتطرفة، خصوصاً الدينية، والتي دخل معها العقل في حروب عنيفة، يمكن أن نختصرها في ما يسمى بصراع العقل واللاعقل.

ألان باديو واحد من الفلاسفة الذين أثاروا جدلاً واسعاً باستمرار، ولنقل إنه فيلسوف الجدل بامتياز. لكن ليس المقصود أنه فيلسوف جدلي، بالمعني الهيغلي أو الماركسي، بل المبتغى هو إبراز حجم التضاربات والسجالات والنقاشات التي كانت تلازم أفكاره السياسية وتوجهاته الفكرية والفلسفية، التي لم تخل من نفحة رياضية ومنطقية، مما أضفى الكثير من القوة والصلابة على متنه الفلسفي، وجعل من أفكاره كتلك المطرقة التي تدقّ في نعش فلسفة الحداثة وما بعد الحداثة، محاولة أن تجد للإنسان مكاناً يحظى فيه بالقيمة التي يستحقها.

من أشهر أعماله نذكر: ''نظرية الفرد'' (1982)، ''الوجود والحدث'' (1988)، ''منطق العوالم'' (2006). إضافة إلى كتابه حول ''مدح الحبّ''، وكتابه الآخر، الذي يشترك فيه مع سلافوي جيجيك، المعنون بِـ ''الفلسفة في الحاضر''، وأعمال أخرى عديدة ناهزت حوالي خمسين كتاباً.

مما يميز ألان باديو، كذلك، هو توجهه اليساري والاشتراكي، ومناهضته للعنف والإرهاب والحرب، وتأييده لكل المواقف التحررية والإنسانية الكفيلة بضمان حرية الإنسان والحفاظ على إنسانيته، خصوصاً في هذا العالم المتوحش الذي تسيطر عليه الرأسمالية ويحكمه منطق السوق والاستهلاك. كما أن اهتماماته واسعة أيضاً؛ تجمع بين الفلسفة والسياسة والأدب والسينما والرواية والمسرح، وهو ما يترجم غزارة إنتاجه وكثرة كتاباته.

نص الحوار:

لوبوان: هل لمفهوم العقل أيّ معنى في مجتمعاتنا، التي تُعتبر مرتعاً لكلٍّ من النزعات المتطرفة، عدم الاستقرار المالي، والشك؟

ألان باديو: ربما أقول، أولاً، إنه ليست للعقل أشكالٌ مرئية، مُهَيمِنة وقوية. على خلاف عصور ابتداع العقلانية الحديثة، التي تطورت بالتدريج من القرن 17 إلى القرن 19 في الميادين الأكثر تنوعاً، من الرياضيات إلى التاريخ أو إلى المجتمع. لقد حملتِ العقلانيةُ عنوانَ مُعسكرٍ مضادٍ لكلٍ من الاتجاه اللاعقلي، الجهل، الشعوذة والظلم... إلخ. أما اليوم، فباعتباره، متشظياً ومقسماً، ومعدًّا لميادين خاصة، لم يعد العقل، ربما مؤقتاً، يُمثل رهاناً.

لوبوان: مع ذلك، لا نتكلم اليومَ إلا عن العقلنة: عقلنة النفقات العمومية، الموارد البشرية والمادية، التغذية، العطل والزمان...

ألان باديو: في الواقع إنها حركة مزدوجة: لقد انسحب العقل من حياة الناس كمعيار واضح، في الوقت نفسه الذي قام فيه العالَمُ الماديُّ والواقعيُّ، وكذا عالمُ التسييرِ، بامتصاص العقل كالإسفنج؛ فمعظم الأشياء التي نستخدمها في الحياة اليومية، كالرسائل الإلكترونية مثلاً، هي نتيجة لطرائق عقلية، تكون في الغالب جد متطورة. في ما يتعلق بالمالية la Finance، فأنا جد مندهش من رؤية أن جزءًا من التقلباتِ الراهنةِ مرتبطةٌ بممارساتٍ رياضية على مستوى عالٍ. في حين ليس نادراً أن يصبح علماء الرياضيات، في المدرسة العليا للأساتذة، تجاراً في لندن، وهذا هو ما لم يكن من الممكن تصوره في شبابي؟

لوبوان: منذ قرن من الزمان، تصدّى الكثيرُ من الفلاسفة لهذه الهيمنة التي يفرضها العقل التكنولوجي على العالم.

ألان باديو: بالفعل. ومن جملة ذلك، ما ترتب عن إعلان هايدغر «نهاية الميتافيزيقا»، الذي جعل من العقلِ مقولةً أساسية. لقد جعلت مدرسة فرانكفورت، وتيارات أخرى، من العقل يبدو وكأنه عاملٌ لتدمير الطبيعة، والتاريخ العميق، بما في ذلك الإنسانية في مواردها الجوهرية. وقد ساهم كل هذا في إضعاف سؤال العقلانية، واستبداله بما أسميه نوعاً من أحلام يقظة رومانسية جديدة néoromantique. من جانب آخر، اقترحتِ الفلسفةُ التحليلية، السائدة في الأوساط الأنجلوساكسونية، رؤيةً للعقلانية منتزعة من الميتافيزيقا، ومستقرة في اعتبارات منطقية ونحوية. إنها نوعٌ من الوضعية الضيقة. لقد جعل علم الأعصاب، اليوم، من العقلانية واحدةً من الأشكالِ الممكنة للنشاط الدماغيّ. يتعلق الأمر بمعرفة أي لونٍ تتخذه هذه المنطقة أو تلك

من الدماغ عندما ينطق شخص ما بجملة ذات معنى. إن هذه الدراسات جدُّ مهمةٍ، لكنها لا تتيح الولوج إلى البعد الذاتي للعقل. ولا يمكن للفلسفة أن تكتفي بها.

لوبوان: هل يمكن للعقل أن يجعلنا سعداء؟

ألان باديو: لدي انطباع أن السعادة، بالنسبة إلى الكثيرين اليوم، هي أن تكون «معقولاً». لكن المعقول أقل أماناً من العقلاني. لقد كان للعقل، قديماً، بعدٌ بطوليٌ، يظهر بوضوح لدى ديكارت، وقبله أيضاً. عندما كان أفلاطون يشرح كيف أن العقل هو الذي يؤدي إلى السعادة، وليس الانفعال أو الرغبة، فلم يكن يعني بذلك أن الطريق العقلانية كانت تمثل أماناً. في حين أن المعقول، اليوم، يحيل على الخوف من المجازفة. لكن هذه النزعة المحافظة المتوازنة للإنسان المعقول، وللسعادة الاعتيادية، ليست تأميناً شاملاً. إن العقل عبارة عن مشروع ومغامرة.

لوبوان: لكن هل ينبغي للعقل، مع ذلك، أن يجعلنا نحلم؟

ألان باديو: إنه سؤال مهم. فالعقلانية الكلاسيكية، كعقلانية ديكارت، كانت تستشرف المستقبل. وكانت تحلم بالعالم، وما كان ذلك إلا لكي يكون عقلانياً. إنها عقلانية بروميتيوسية Prométéenne، بمشاريع ضخمة.

لوبوان: ولكن هناك أيضاً مذابح ارتُكِبَت باسم العقل...

ألان باديو: هذا مؤكد. يقال إن اليوتوبيات السابقة أدّت إلى الجريمة والرعب... إلخ. أنا لا أرفض أبداً هذه الحجج، ولكننا نرى جيداً أن هذا قد تسبب في سقوط العقلانية التطلعية. إن عودة عقلانية مُجَدَّدَة، محارِبة، تسترجع معنى المجازفة، المغامرة والإبداع، ستسير، في نظري، جنباً إلى جنب مع ما تسمونه الحُلْم.

لوبوان: يرغب الكثيرون، بالأحرى، في الانسجام مع الطبيعة، وفي حياة يُحترم فيها الجسد والعواطف بشكل أفضل.

ألان باديو: إنها، في نظري، ظواهر جانبية لاختفاء البطولية العقلانية. إن اكتشاف العالم الجديد، وغزو الكوكب، لم يكونا محط انشغال حكماء متكئين على أريكة. في حين أن هذه الرغبات، في الانسجام مع الطبيعة، هي رغبات لا بُعْدَ لها ولا أهمية. انظروا إلى نصف تأليه Semi-divinisation الطبيعة في «الإيكولوجيا العميقة». لقد جعل منا مواطنين صغاراً لهذا الكوكب، يقتسمون قَدَرَهُم مع الحوت. إنها حلولية الفقير Panthéisme du pauvre. وكان يجب الالتصاق بالطبيعة، وإلا فإنها سترمي بنا، وستقوم بهزات

أرضية، وبكوارث تسونامي... إلخ. آه لهذه الرغبة في أن تكون مَحْمِياً من طرف أُمٍّ تَكْفُلك... إن كل إيديولوجيا العصر الجديد قد تشكلت انطلاقاً من هذا. إنها مقاطع منفصلة للكوكب الديني السائر نحو الانهيار.

لوبوان: يبدو، مع ذلك، أن الراديكالية الدينية جد متماسكة. ألا تخشون انتصار اللاعقل؟

ألان باديو: تتشكل العقلانية الحديثة، في جزء منها، ضد الدين، هذا واقع. لكن شعوري هو أنه، في فرنسا اليوم، يحاول الصراع الجمهوري اللائكي المزعوم أن يُحيي جثةً. كما لو كان هناك خطر رهيب، وأن المعركة الأخيرة للحرس الخلفي للعقلانية سيكون لمنع المذهب اللاعقلاني الديني –على العموم من مصدر خارجي، بما أن الإسلام هو المقصود وليست الأصوليات الدينية- من إتلاف عقلانيتنا الراسخة. في حين أن المشكل الحقيقي هو أنه لا توجد عقلانية راسخة. لقد أَضْعَفَ تقويضُ الهيمنة الدينيةِ العقلَ المحارب. كما أن مَحْوَهُ لِعدوّهِ جعلهُ يَنْمَحي هو نفسه.

لوبوان: إذن، ليس هناك عقل محارِب بدون دين؟

ألان باديو: تلك هي المسألة بأكملها؛ يجب على الفلسفة أن تقترح مذهباً جديداً للحقيقة، يُلَبّي متطلبات العقل، ولكن دون أن يكون مرتبطاً، بأيّ شكل من الأشكال، باللاهوت. هل هذا ممكن؟ لقد كان الإله، بالنسبة إلى العقل الكلاسيكي، كنوع من الضمان النهائي. انظروا إلى ديكارت، سبينوزا، لوك، ولايبنتز، فلا أحد منهم، حقيقةً، ترك الإله. في حالة ديكارت، وهي نموذجية: لم يكن إلهه إلا ضماناً. إذا كان ينبغي للعقل أن يظهر ثانية، وأعتقد أنه يجب عليه ذلك، فسيكون هذا، إذن، بواسطة طُرُقٍ ينبغي أن تُبْتَكَر.

لوبوان: هل يجب على كل شيء أن يكون عقلانياً؟ أحد كتبك يحمل عنوان «مدح الحب». وقد قال باسكال بأن للحب عللَه التي يجهلها العقل...

ألان باديو: ينبغي التمييز بين الذكاء العقلاني لظاهرة ما، وبين كون هذه الظاهرة تنتمي، أو لا تنمي، للعقلانية. على العكس، لم أُنكر يوماً العلاقةَ العاطفية، العشوائية، المرتبطة برغبة الحب. لكن يمكن أن نقترح لها تأويلاً عاماً وعقلانياً. أظن كذلك أن لمفهوم الحقيقة معنى داخل الحب، ويجب معرفة أين يتموقع. يمكننا إذن، أن نضع، على نحو جيد، نظرية عقلانية للاعقلانية. وللعودة إلى أستاذي الشيخ، أفلاطون، فإن الأمر يتعلق تماماً بأن نَفْهَم، بشكل عقلاني، لماذا يكون النشاطُ الإنساني في مجموعه، في الغالب الأعم، نشاطاً لاعقلانياً؛ لكن فهم ذلك لن يجعل منه عقلانياً أكثر.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2018

All rights reserved © 2018